قسم الآداب و اللغة العربية .

المحاضرة الرابعة في مقياس اللسانيات التطبيقية.

السنة الثانية ليسانس، دراسات أدبية، م1.

أستاذ المقياس: حسن العايب.

العنوان: الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية والتعدد اللغوي:

يتداخل المصطلحان "الازدواجية اللغوية" "والثنائية اللغوية" بسبب تباين آراء اللسانيين حولهما، إذ يعني مصطلح "الازدواجية اللغوية" (Diglossie)[1]، وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة[2]، أي لغة للعلم والفكر، ولغة أخرى للحياة اليومية العادية، ويطلق مصطلح الثنائية اللغوية على هذا المفهوم أيضا (Bilinguisme).

بينما يطلق مصطلح الازدواجية على لغتين مختلفتين، وهكذا نرى تبادل مصطلحي "الازدواجية" و"الثنائية" المواقع بوضع أحدهما موضع الآخر، تبعا لمشارب المدارس اللسانية، وتوجهات الأفراد[3].

ويذهب اللساني الأمريكي جوشوا فيشمان (Joshua Fishman) إلى أن الثنائية تعني عنده قدرة الفرد على استخدام عدد من اللغات، وهذا يدخل ضمن اللسانيات النفسية وأن الازدواجية تعني استخدام عدد من اللغات في المجتمع، وهذا يدخل ضمن اللسانيات الاجتماعية، ففيشمان لا يولي عناية كبيرة لوجود شفرتين مختلفتين عربية فرنسية مثلا[4].

وقد اختار عبد الرحمن بن محمد القعود مصطلح الازدواجية للتعبير عن مستويين في لغة واحدة فقال: "الازدواج اللغوي وفق المفهوم الذي اخترته هو وجود مستويين في اللغة العربية، مستوى الفصيحة، ومستوى الدارجة أو مقابلاتها مثل العامية أو اللهجة"[5].

وهو عكس ما اختاره صالح بلعيد بحيث وظف مصطلح الثنائية اللغوية للتعبير عن وجود مستويين لغويين من أصل واحد كالفصحى والعامية[6].

وهذا أخذا برأي عبد الرحمن حاج صالح الذي اختار مصطلح الثنائية اللغوية بدل الازدواجية في بحثه المقدم إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة[1].

---

[1]- أول من استعمل مصطلح "diglossie" هو اللساني الأمريكي شارل فارجسون سنة 1959.

[2]- الازدواج اللغوي في اللغة العربية، عبد الرحمن بن حمد القعود، ط 01، الرياض 1997، ص: 12.

[3]- علم النفس اللغوي، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر 2008، ص: 44.

[4]- حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي، ترجمة: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2008، ص 80.

[5]- الازدواج اللغوي في اللغة العربية عبد الرحمن بن محمد القعود، ص: 19.

[6]- علم النفس اللغوي، صالح بلعيد، ص: 42

– أما التعدد اللغوي فهو استخدام لغتين أو أكثر من قبل شخص ما، أو في مجتمع لغوي محدد"[2]، وهي ظاهرة ناشئة عن الهجرات من دولة إلى دولة وعن الاستعمار الذي نشر لغته بعد خروجه من البلدان المستعمرة، والحدود المشتركة بين الدول مما يسمح للغات من التسلل من بلد إلى آخر، وكذلك العولمة المرتكزة على كسر الحدود، واستعمال وسائل الاتصال الواسعة مما سمح لهيمنة بعض اللغات على أخرى.

وللتعدد اللغوي نتائج اجتماعية، إذ يوجد توتر دائم بين قوى الأحادية اللغوية والتعدد اللغوي.

وقد عرفت الولايات المتحدة الأمريكية مثلا عدة تقلبات في رفض وقبول التعدد اللغوي في المجتمع الأمريكي، ففي بداية القرن التاسع عشر تقبل الأمريكيون التعدد اللغوي ثم أتبعوه بسياسات رافضة لهذا التعدد أو أي نوع من التعدد الثقافي زمن الحرب العالمية الأولى، لكن في الستينيات أعادوا السماح بالتعدد اللغوي والانفتاح عليه لأن هذه السنوات عرفت صعود مطالب إلى الواجهة السياسية متمثلة في البحث عن العدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، والاعتراف بحقوق المهاجرين ومنها الحقوق اللغوية[3].

الازدواجية اللغوية واللغة العربية:

لقد أخذنا بمصطلح الازدواجية (Diglossie) بمفهومه القائل بوجود لغتين من أصل واحد في مجتمع لغوي ما، لغة عليا توظف في الأدب والثقافة والمستويات الرسمية، ولغة أخرى توظف في التواصل الشعبي داخل الأسواق والعلاقات الاجتماعية الشعبية العامة، مثل العربية الفصحى والعامية، ومبررات الأخذ بمصطلح الازدواجية لكون مصطلح الازدواجية أشيع في الاستعمال بين الباحثين ولكون "الازدواجية" من الفعل "ازدوج" الذي معناه تمييز الشيء والعربية الفصيحة وعاميتها اثنان من أصل واحد.

أما الثنائية تدل –كما يقول نهاد الموسى– على مطلق العدد حتى أنها تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشر، والنور والظلام،... وذلك أشبه بالتقابل البعيد بين اللغات المختلفة[4].

الازدواج اللغوي واللغة العربية:

---

[1]– تم ذلك سنة 2012.

[2]– معجم اللسانيات الاجتماعية، جون سوان وآخرون، ترجمة: ترجمة: فواز محمد الراشد عبد الحق، وعبد الرحمن حسني أحمد أبو ملحم، ط1، مركز عبد الملك بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض 2019، ص: 267. (حرف M)

[3]– دليل السوسيولسانيات، فلوريان كولماس، ترجمة: خالد الأشهب، وماجدولين النهيبي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط01، بيروت 2009، ص: 655.

[4]– الازدواج اللغوي في اللغة العربية، عبد الرحمان بن محمد القعود، ص:12.

يعد وجود لغة عليا للفكر والأدب والفلسفة مع لهجات محلية للتعامل اليومي، ظاهرة طبيعية عرفتها اللغة العربية من قديمها الجاهلي، وتعرفها الدنيا في سائر اللغات الحيّة[1].

وتتميز العربية الفصحى عن العامية بخاصية الإعراب الذي هو الفرق الحاسم بينهما.

إذا، يطبع العربية مستويان لغويان رئيسيان هما: الفصحى وهي النموذج اللغوي الذي نتعلمه، والعامية وهي النموذج اللغوي الذي نكتسبه، وجرى العرف أن للنموذج الأول مواقع ووظائف هي المدوّن الثقافي والنموذج الثاني مواقع ووظائف الشفاهي اليومي[2].

أي أن لكل مستوى من المستويين وظيفة يؤديها في عملية التواصل الاجتماعي، ولا يحل أحدهما مكان الآخر بل يوجد بينهما تكامل وتوافق.

لكن مع مجيء الاستعمار الغربي، ارتفعت دعوات لإحلال العامية محل الفصحى مثل المستشرق الألماني **فيلهام سبيتا** الذي دعا سنة 1880 إلى إحلال العامية المصرية محل الفصحى، وتنبأ في كتابه: "**قواعد العامية المصرية**" بأن تصير العربية الفصحى إلى الموت، مرجعا كل تبعات الأمية والتخلف الفكري والسياسي في مصر إلى هذه اللغة.

وقد تبعه المهندس الإنجليزي **ويلكوكس** في نفس الطرح، وذلك سنة 1881، في محاضرته بعنوان: "**لمَ لمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن**"، وحمّل فيها المسؤولية إلى اللغة العربية الفصحى داعيا إلى استعمال اللغة العامية بدلها[3].

لكن لا نلقي اللوم على الاستعمار وحده، لأن هناك عوامل اجتماعية وثقافية تكرس الازدواج اللغوي بين الفصحى والعامية ومنها الجهل والأمية، لذلك يرى **صبحي الصالح** أن لعلاج العامية لابد من محاربة الأمية إذ قال: "وليس لداء العامية من علاج إلا بمحاربة الأمية، وجعل التعليم الإجباري، يمكن أجهزة الإعلام في الدول العربية من الارتفاع بالعامية إلى الفصحى المبسطة الميسرة، فيما تبثه بالإذاعة والتلفزيون من أشرطة مسجلة وأسطوانات، وفيما تنشره من أدبنا المسرحي الحي الذي يتكاثر مع الأيام غير متجانف عن تفصيح العامية، ولا بيسير الفصحى"[4].

ماذا لو استعملنا العاميات وتخلينا عن الفصحى؟

لو تتبع الحكومات العربية سياسات لغوية معلنة أو غير معلنة تشجع العاميات، وتقمع الفصحى، وتقزمها فإنها تصل إلى النتائج الطبيعية والمنطقية الآتية:

---

[1]– لغتنا والحياة، عائشة عبد الرحمان، دار المعارف بمصر، القاهرة 1971، ص: 93.

[2]– الفصحى وعاميتها بين تجليات "الكائن" و"تصورات الممكن"، نهاد الموسى، محاضرة في ندوة "الفصحى وعامياتها" نظمها المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر، سنة 2007، ص: 44. .

[3]– لغتنا والحياة، عائشة عبد الرحمن، ص: 102.

[4]– دراسات في فقه اللغة العربية، صبحي الصالح، ط10، دار الملايين، بيروت 1983، ص361.

1- صعوبة التفاهم بين البلدان العربية بحيث يحتاج الجزائري مثلا إلى مترجم لفهم السوري والسوري يحتاج إلى مترجم لفهم المصري وهكذا الحال مع بقية البلدان العربية، بحيث تغدو اللغة حاجزا بين الشعوب العربية كحواجز جمركية، والسياسية والنقدية.

2- قطع الصلة بالتراث الذي يبلغ عمره قرونا طويلة، لأنه يصير غير مفهوم ويحتاج إلى ترجمة إلى العاميات ليسهل فهمه وهذا من الصعب تحقيقه.

3- قطع الصلة بالبلدان الإسلامية، كإندونيسيا وماليزيا وتركيا، وغيرها لأن هذه البلدان تتعلم الفصحى لأنها لغة القرآن والإسلام، وتتواصل مع البلدان العربية بواسطة هذه اللغة، وإذا غابت هذه اللغة صعب التواصل وفترت العلاقات.

4- استمرار التفتت اللغوي والتشرذم الجغرافي والسياسي، لكون العاميات مختلفة فيما بينها حتى داخل البلد الواحد، فكل بلد عربي فيه جملة من العاميات المختلفة وإذا أخذنا بهذا المنطق يصير في كل بلد عربي عدة لغات، وهذا ما يخدم المشروع اللغوي الاستعماري[1].

[1]- العربية الفصحى وعامياتها في السياسة اللغوية، علي القاسمي، ملتقى الفصحى وعامياتها تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر سنة 2007، ص:206.